

## المستخلص

عزة إبراهيم حماش . الدلالة القرآنية عند ابن خالوية (٣٧٠ هـ) (رسالة ماجستير) . -  
بغداد : الجامعة المستنصرية : كلية الآداب : القسم اللغة العربية ، ٢٠٠٧

وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- تُعدُّ الدلالة القرآنية وجهاً من الوجوه الإعجازية في القرآن الكريم ، التي لا يمكن حصرها أو تحديدها ، وإنَّ دراستها والوقوف عليها تتجاوز قضايا البحث الدلالي كلها ، التي يستعان بها في تحديد المعنى ، وقد كانت محاولات المفسرين في بيان دلالة النص القرآني قائمة على تقريب المعنى لا على التحديد الدقيق في الدلالة.
- كان ابن خالويه من القائلين بوقوع ظاهرة المشترك اللفظي بين ألفاظ اللغة والألفاظ القرآنية ، وقد أُلِّفَ فيها كتباً كثيرة ، واتبع في توجيهه دلالات الألفاظ المشتركة في النص القرآني منهجاً يقوم على سرد معاني اللفظة ، ثم يتبعه بتفسيرها في النصوص القرآنية التي ترد فيها ، مدركاً أثر القرينة السياقية في تحديد دلالة الألفاظ القرآنية المشتركة ، مما يجعل فهمه لها يتناسب وجهود المفسرين الأوَّلى الذين عوَّلوا على السياق كثيراً في تفسير دلالات الألفاظ القرآنية.
- أفرَّ وقوع التضاد في اللغة وصرَّح به في أكثر من موضع ، على الرغم من قلة عدد الأضداد في مؤلفاته ، وقد أظهر اهتمامه بهذه الظاهرة وهو يكشف عن دلالة الألفاظ في النص القرآني ، وقد اعتمد على بعض الألفاظ التي لم تثبت ضديتها في تفسيره للآيات القرآنية.
- أثبت ابن خالويه وجود ظاهرة الترادف بين الألفاظ ، وقد أفرَّد فيها غير كتاب ، وكان من المبالغين في هذه الظاهرة على الرغم من إدراكه الدلالات الخاصة للألفاظ المترادفة. وقد أورد ألفاظاً وعبارات توحى إلى إقراره من غير أ ، يذكرها باسمها الاصطلاحي.
- إنَّ الترادف بين الألفاظ القرآنية غير موجود ، وأنَّ كل لفظة من ألفاظ القرآن وضعت في مكانها من التركيب لتؤدي المعنى الذي وضعت من أجله ، الذي لا يمكن أن تؤديه أي لفظة أخرى مهما تقارب معناهما.
- فرَّق ابن خالويه بين الألفاظ القرآنية التي تبدو مترادفة ، مدركاً بحسه اللغوي الفروقات الدلالية الدقيقة بينهما ، مما يوضح موقفه من ظاهرة الترادف بين الألفاظ القرآنية التي لم يقل بترادفها مطلقاً.
- استعان ابن خالويه بالدلالة اللغوية في تفسير دلالات الألفاظ القرآنية ، بحسب ما يقتضيه المقام في دراساته اللغوية ، وقد يورد للألفاظ التي ترد في الآيات القرآنية التي يقف عندها أكثر من دلالة بحسب ما يراه مناسباً كلفظة (الصعيد) ، وقد يكتفي بذكر الدلالة اللغوية للفظ وهو الغالب في منهجه التفسيري ؛ وذلك لأنَّها تمثل عنده الأصل الذي تتحدَّر عنه كلُّ أنواع الدلالات الأخر ، وهذا يدلُّ على سعة علمه بأصول الألفاظ اللغوية ودلالاتها المتنوعة ، ، مما يجعل قضايا البحث الدلالي حاضرة في فكره اللغوي.
- اهتم ابن خالويه بالدلالة الشرعية ، في كشفه عن دلالات المفردات القرآنية وجعلها من أهم الأسس التي تقوم عليها مباحثه التفسيرية في توجيه دلالة الألفاظ القرآنية نحو الدلالة الشرعية ، وقد اتبع في ذلك منهجين: يقوم أحدهما على ذكر الدلالة اللغوية ثم يتبعها بالدلالات الأخر ، ومنها الدلالة الشرعية ، وقد يكتفي بذكر الدلالة الشرعية من غير أن

- يذكر الدلالة اللغوية. والآخر: اكتفى فيه بالدلالة اللغوية للألفاظ الإسلامية من غير أن يورد الدلالة الشرعية ، وذلك عندما لا يرى بدلالة النص القرآني حاجة إليها.
- كان ابن خالويه أحد العلماء الذين أدركوا أثر الاستعمال العرفي في تغيير دلالة الألفاظ ، وقد فسر بعض المفردات القرآنية تبعاً للاستعمال العرفي ، بعد أن علم بأن العرف قد يساعد في فهم دلالة النص القرآني.
- أدرك ابن خالويه التطور الدلالي للألفاظ القرآنية وخاصة فيما يتعلق بالألفاظ الإسلامية كلفظ ( الصلاة ، والتسبيح ) وكذلك في مجال الدلالة العرفية عندما تنتقل الألفاظ إلى معان جديدة بحكم التخصيص العرفي في دلالتها.
- أقرَّ ابن خالويه وقوع المجاز في اللغة ، مصرحاً به في بعض الأحيان وأجاز وقوعه في القرآن الكريم ، عندما لاحظ أنَّ بعض الآيات لا يجوز حملها على ظاهرها ، مما جعله يفسرها على الاستعمال المجازي ، الذي يمثل المعاني الثانوية لألفاظ اللغة.
- اتبع ابن خالويه منهجاً خاصاً في تفسير النصوص القرآنية ، يقوم على بيان الدلالة العامة لتلك النصوص ، من غير أن يذكر الاستعارة بصريح العبارة ، ولكن تفسيره يوحي بوضوح إلى فهمه لأثرها في تأدية المعنى المراد بالنص القرآني.
- لم يصرح ابن خالويه بالتسمية الاصطلاحية لنوعي المجاز اللغوي والمجاز العقلي ، وربما كان ذلك نتيجة تأخر ظهور المصطلحات البلاغية ، وخاصة المجاز العقلي الذي أطلق تسميته عبدالقاهر الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة).
- صرَّح ابن خالويه بالكناية في كل المواضع التي وردت في تفسيره دلالة النص القرآني ، وكانت علة ذلك أنها ظلت على دلالتها الأصلية ، وبقيت محتفظة بالتسمية نفسها التي أطلقت عليها في الوضع اللغوي ، فهي لم تكن من اصطلاح علماء البلاغة المتأخرين كغيرها من عناصر علم البيان الأخر.
- اعتمد بن خالويه في مباحثه التفسيرية على السياق بشقيه (اللفظي - والحالي) وحدد بموجبه دلالات كثير من المفردات القرآنية ، وأدرك أن الألفاظ المشتركة لا يمكن تحديد دلالتها إلا من خلال السياق ، إذ يتم تحديد معناها اعتماداً على المصاحبات اللغوية التي تجاورها في السياق اللفظي ، وفي ظل إدراكه لهذا النوع من السياق ، أحس بأهمية الفاصلة القرآنية في الجرس الموسيقي للنص القرآني ، وقد اتخذ أسباب النزول قرائن دلالية تساعد على فهم الآيات القرآنية وتفسيرها ، مما يعكس إدراكه لأثر السياق الحالي في تحديد دلالة الألفاظ في النص القرآني.
- اهتم ابن خالويه بظاهرة الحذف والتقدير ، في عنايته بتوجيه دلالة الآيات القرآنية ، معللاً في بعض الأحيان الحذف في النص القرآني بالإيجاز والاختصار وكثرة الاستعمال وغيرها من علل الحذف التي ذكرها النحاة والبلاغيون ، متخذاً من وجود الدليل على المحذوف مسوغاً للحذف.
- اعتمد ابن خالويه على أسلوب التقديم والتأخير ، سواء بتقديم لفظة على أخرى أم بتقديم تركيب على آخر. معللاً في بعض الأحيان سبب التقديم ، متخذاً من أهمية المقدم واختصاصه معياراً للتقديم بين الصيغ التعبيرية في التركيب القرآني.
- حظيت الحروف بعناية ابن خالويه وأفرد لها مؤلفات كثيرة في تراثه النحوي ، وقد استعمل المصطلحين البصري (الحرف) والكوفي (الأداة) للدلالة على الحرف ، مما يدل على أنه من أصحاب خلط المذهبين في النحو ، وقد أخذ بمذهب الكوفيين في جواز دلالة حروف المعاني بعضها على بعض ، وخاصة حين يعرض لتوجيه دلالة الآيات القرآنية ، بما يراه

- موافقاً لمعنى السياق القرآني ، ويكتفي في تفسيره بذكر معاني الحروف في النص القرآني ، من غير أن يرجح أي معنى من المعاني التي يذكرها للحرف.
  - اعتنى ابن خالويه بأسلوب التوكيد في دراسته للنصوص القرآنية التي تكررت فيها الألفاظ والتراكيب سالكاً في تفسيره اتجاهين. أحدهما: يحمل التكرار على التوكيد ، ويجعله أحد أسرار التكرار في النص القرآني ، والآخر: لا يحمل فيه التكرار على التوكيد ، وإنما يلتزم له توجيهاً آخر بحسب ما يراه مناسباً لدلالة النص القرآني ، ملتزماً بالإيجاز وسهولة العبارة في تفسيره.
  - اتبع ابن خالويه من سبقه من النحويين الذين أثبتوا وجود الزيادة في اللغة ، وفي النص القرآني ، على مستوى الحروف ، وهي الأصل في وقوع الزيادة عند النحاة ، وقد اعتمد عليها كثيراً في توجيهاته دلالة النصوص القرآنية ، وقد أجاز وقوع الزيادة في الأسماء ولم يرد ذلك عنده إلا في موضع واحد ، مما يدل على قلة وقوعها في الأسماء ، وقد اكتفى بالإشارة إلى مواضع الزيادة من غير أن يذكر الفائدة المتوخاة منها ، مما يجعل فهمه لها قريباً من فهم النحاة الذين ذهبوا إلى أن الحرف الزائد ما كان دخوله كخروجه من غير إحداث معنى في الجملة.
  - اهتم ابن خالويه بأسلوب عود الضمير ، واستعمل المصطلحين البصري (الضمير) والكوفي (الكناية) للدلالة عليه ، وقد كان جهده في هذه المسألة منصباً على ما ورد في النص القرآني من أساليب العود التي لها أثرها في دلالة النص القرآني.
- اتخذ ابن خالويه من الدلالة النحوية بفروعها المختلفة وسيلة كاشفة عن دلالة النص القرآني ، وكان يوجه دلالة الآيات القرآنية بما يعرضه.